آلية الانتقال من الأخلاق الذاتية إلى الأخلاق التواصلية عند هابرماس

The Mechanism Of Transition From Subjective Ethics to Communicative Ethics According to Habermas

إعداد

أ/ آيات عبد الرحيم سيد

باحثة دكتوراه في الفلسفة السياسية بكلية الآداب بجامعة سوهاج

ayatabdelrahim0@gmail.com

الملخص:

في خضـم هذا التطور الهائل والتكنولوجيا في عصـر التنوير والحداثة، واعتبار العقل مجرد أداة للفعل، واغتراب الإنسـان عن مجتمعه، وتأسـيس كانط لأخلاق الواجب وهي أخلاق ذاتية تقتصـر على الفرد، ظهرت الحاجة إلى ضرورة تأسيس أخلاق تواصلية كما نجدها عند الفيلسوف الألماني هابرماس، أخلاق تضـبط علاقة وتعامل الأفراد فيما بينهم، وهي أخلاقيات مرجعها ومرتكزها العقل، كما يحاول هابرماس توفير معايير للقرارات الأخلاقية التي ترتكز على التفاعل الإنسـاني من خلال رؤيته حول أخلاقيات الخطاب، وهو يحدد أخلاقيات الخطاب بكونها أخلاق المسـؤولية التي في نظر هابرماس تكون بديلًا للأخلاقيات التقليدية، فإذا كان الفعل الكلامي يحقق التواصـل والتفاهم، فإن أخلاق المسـؤولية تفتح أفق المشاركة للجميع، ومن هنا أيضًا جاءت رؤيته في السياسة وقوله بالديمقراطية التشاركية.

الكلمات المفتاحية: أخلاق التواصل- التداولية- المناقشة- الإتيقا- الديمقراطية.

Abstract:

In the midst of this tremendous development and technology in the era of enlightenment and modernity, the consideration of the mind as a mere tool for action, the alienation of man from his society, and Kant's establishment of the morality of duty, which is a subjective morality limited to the individual, the

need arose to establish a communicative morality, as we find it in the german philosopher "Hebermas", ethics regulate the relationship and treatment of individuals among themselves, and it is an ethics whose reference and foundation is the mind, Habermas also attempts to provide standards for ethical decisions that are based on human interaction through his vision of the ethics of discourse as the ethics of responsibility, which in Habermas" view is an alternative to traditional ethics. If the Speech act achieves communication and understanding, then the ethics of responsibility opens the horizon of participation for all, from here also came his vision in politics and his statement of participatory democracy.

-**Keywords:** Communication Ethics- Pragmatics- Discussion- Etiquette-Democracy.

المقدمة:

نوضح في هذه الدراسة كيف حاول يورغن هابرماس[1] متجاوزًا فلسفة كانط القائمة على أخلاق الواجب والإلزام والإرادة والحرية الفردية، إلى تأسيس صيغة أخلاقية كلية شاملة من خلال نظريته التي تعرف بالنظرية التواصـــلية، وفي هذه النظرية يؤكد على أهمية الاتصـــال بين الفرد وغيره من خلال النقاش والحوار، وهذا النقاش يتبع معايير أخلاقية معينة، فهو يؤسـس لأخلاقيات التواصـل في المجتمع، كما أن هذا التواصل يتم عن طريق اللغة، التي تنقل الفرد من الذاتية إلى الاتصال مع الغير.

كما نتطرق إلى إتيقا المناقشة والعلاقة الجدلية القائمة بين مفهوم إتيقا المناقشة ومفهوم التواصل الذي يعد من أهم المفاهيم المفتاحية لفهم المجتمع المعاصـــر، وكذلك حاول هابرماس التمييز بين العقل النظري والعملي، ويحاول صـــياغة مفهوم جديد يتجاوز الأخلاق الكانطية وهي ما تعرف بالأخلاق التواصـلية، والانتقال من عقل متمركز على الذات إلى عقل تواصـلي يسـهل عملية تجاوز فلسـفة الذات التي لها صـــلة بالعقلانية الأداتية. كما ينتقل هابرماس من محاولة تطبيق هذه النظرية على الأخلاق إلى تطبيقها في السياسة، من خلال تأسيس نظام سياسي ديمقراطي قائم على التداول والنشاط التواصلي. كما سـنعرض لأهم الانتقادات التي وجهت للنظرية التواصـلية عند هابرماس. وختامًا، سـنعرض لأهم نتائج الدراسة.

ملامح من فكر كانط وأخلاق الواجب:

نتطرق إلى فكر كانط[2] والذي يوضـــح فيه أن الضـــمير وإن كان قوة فطرية، إلا أن هذه القوة عقلية لا حســية، فهو يراه قوة فطرية عقلية وُجدت كاملة في الإنســان، وقد قســم العقل الإنســاني إلى قســمين: العقل النظري والعقل العملي، الأول: خاص بإدراك العالم الحســي، ويعتمد في معرفته على الحس والتجارب، وهو لذلك لا يصـــلح أن يكون أســـاســـاً للأخلاق لأن وســـائل إدراكه وهي الحواس والتجارب كثيراً ما تضل وتكون خاطئة، وكذلك يعتمد في حكمه على مقدمات غير مأمونة الصحة دائما، أما العقل العملي، وهو ما نسميه الضـمير، فلا يسـتند في معرفته لحقائق الأشـياء إلى وسـائل قد تخطئ وتصـيب، بل هو قوة باطنة فُطر عليها المرء وإن كان من الممكن تعليل أوامرها نظريًا، فهي بعيدة عن التجربة ولا تتصـل بالمحسـوسـات المادية، إنما هي شـعاع من نور هبط من القوة العليا المطلقة غير

المحدودة إلى النفس الإنسانية، وهو هاديها سواء السبيل، ومبين لها طريق الخير والشر، والحكم الذي لا تشوب أحكامه الضلال[3]. ولهذا ما يراه كانط أن الضمير شعاع من القوة العليا، وكان التسليم بوجود الله وخلود الروح عنده من مسلمات علم الأخلاق، والواجب، هو صوت الضمير يقول في وضوح لا لبس فيه، وصراحة لا غموض معها "لا تكذب مطلقًا، وعامل الناس بالحسنى، وإن لم تفد من ذلك لنفسك، بل وإن جاءك الضرر من هذا السبيل" هذا الأمر هو ما يسمى أمرًا مطلقًا، وما يأمرنا في كثير من الحالات بالتضحية بعواطفنا ومنافعنا الخاصة، وهو أساس الخلقية الكاملة عنده[4].

نظرية الواجب الأخلاقي: نتناول نظرية الواجب باعتبارها خير مثال للمذاهب الديونطولوجية التي تحكم على الفعل الخلقي في ذاته، لا بالنظر إلى آثاره أو نتائجه، فمعظم المذاهب الأخلاقية أغفلت عنصر الإلزام أو التكليف، وكأن الأخلاق مجرد بحث عن النتائج السارة، أو الغايات السعيدة، أو الخبرات النافعة، والحق أن كل نظرية أخلاقية تربط الخير باللذة أو السعادة أو المنفعة، تهمل جانب الإلزام أو التكليف[5]. بيد أن العصر الحديث قد شهد اتجاهات أخلاقية جديدة أراد أصحابها اعتبار "القانون" أو "الواجب" أو "الإلزام" دعامة الأخلاق، فكان من ذلك أن اهتم الكثير من الباحثين بدراسة طبيعة "التكليف"، بدلًا من التوقف عند دراسة النتائج أو الغايات الخيرة، وقد أجمع أصحاب الاتجاهات المختلفة على القول بأن "القانون الخلقي" يفرض على الأفراد بعض القواعد السلوكية التي لا تحتمل التأويل أو التفسير أو المناقشة، فهي رهن بما لدينا من إحساس بالإلزام، على اعتبار أن الإلزام يقوم أولًا وبالذات على بعض العلاقات الباطنة المتضمنة في صميم الفعل الخلقي نفسه، وأعلى صورة من صور الأخلاق الإلزامية هي تلك التي نلتقي بها لدى كانط[6].

ومن شروط الواجب والالزام الأخلاقي:

مادام الواجب الأخلاقي يتمثل في كونه إلزامًا أخلاقيًا يصدر عن العقل كان علينا أن نربط مفهوم الواجب بشرطين أساسيين، أولهما: وجود الحرية، وثانيهما النظرة الثنائية إلى الإنسان.

الحرية الخلقية: يرى كانط أن الحرية الأخلاقية هي أولا وقبل كل شيء خاصية التصرف أو العمل في استقلال عن أي علة أجنبية، وإن كان هناك أشياء ينبغي على الانسان فعلها، فذلك لأن لديها القدرة على فعلها، والأوامر القطعية المطلقة هي تلك المبادئ الأخلاقية التي يلزم الانسان نفسه بوصفه كائنا ناطقا حرا، وهذه الحرية لا تعني القدرة على إتيان أي فعل كائنا ما كان، بل تعني قدرة الانسان على تنظيم حوافزه، وتهذيب ميوله وتوجيه سلوكه، ففي وسع الانسان أن يفعل أو يمتنع عن الفعل، أن يقبل أو يرفض، وهذه القدرة الارادية هي التي تسمح له بتنظيم ميوله وفقا لما يقضي به القانون الأخلاقي[7].

فالحرية هي الشرط الأول والأساسي للواجب الخلقي عند كانط.

النظرة الثنائية إلى الانسان: لو كان الإنسان متوافقًا مع نفسه تمام التوافق، لما كان عليه سوى أن يترك نفسه على سجيتها لكي تعمل بوحي غرائزها كما يعمل الحيوان، ولكن الانسان مكون من الثنائية: النفس والجسد، الأولى ملائكية تنشد المثل الأعلى، والثانية شهوانية تنشد المتع الحسية واللذات الجسدية، والواقع أن شعور الانسان بالواجب وبالمثل الأعلى، يجعلان الحياة الأخلاقية ضربا من الصراع أو الجهاد، فنحن نعيش باستمرار في حالة أليمة من الفوضى والاضطراب والتعدد، ولكن نميل إلى النظام والانسجام والوحدة[8].

يعتبر مفهوم الحرية عند كانط حجر الأساس في كل النسق المعماري للعقل العملي المجرد، بوصفها وصفا للقانون الأخلاقي لا بوصفها موضوعًا للفهم، فهي أصبحت مطلبا للعقل العملي ليؤمن

نفسه من التناقض الذي يمكن الانزلاق إليه عند محاولة التفكير في اللا مشروط داخل سلسلة العلل، والإرادة هي نوع من العلية تتصف به الكائنات العاقلة، والحرية هي الخاصية التي تتميز بها وتجعلها قادرة على الفعل، فالإرادة الحرة خاصة تتميز بها جميع الكائنات العاقلة والانسان لا يستطيع أن يفعل فعلا إلا تحت تأثير فكرة الحرية، وإرادة الكائن العاقل لا يمكن أن تكون ذاتية إلا بالقياس إلى فكرة الحرية، فالقانون الأخلاقي يقوم على العلية، وهي في العالم المعقول حرية متجاوزة كل شروط عالم الحس لأن الإرادة الحرة تنتمي إلى العالم المعقول المجرد[9].

الحرية والقانون العملي غير المشروط يستلزمان كل منهما الآخر، وعلى الأرجح أن يكون قانون غير مشروط مجرد وعي عقل محض عملي بذاته، لكنه يتماهى هنا كليًا مع المفهوم الإيجابي للحرية، أما ما أسأل عنه فهو: مما تبدأ معرفتنا بما هو عملي- غير مشروط، هل من الحرية أم من القانون العملي، إنني لا أستطيع أن أبدأ من الحرية كوننا غير قادرين على أن نعيها مباشرة، إذ أن المفهوم الأول عنها سلبي، ولا أن نستدل على وجودها من التجربة، لأن التجربة لا تجعلنا نعرف إلا قانون الظواهر وبالتالي آلية الطبيعة، وهو نقيض الحرية، إذاً القانون الأخلاقي هو ما نعيه مباشرة (حالما نرسم لأنفسنا مسلمات للإرادة) حيث أن العقل يقدمه مبدأ للتعيين، لا ترجح عليه أي شروط حسية، بل هو حقًا مبدأ تعيين مستقل عنها استقلالا تاما، يقودنا مباشرة إلى مفهوم الحرية[10].

نلاحظ تأكيد كانط حرية الإرادة الإنسانية، ومفهوم المسؤولية الفردية، ورفضه فكرة الخطيئة المتوارثة، لأن الإنسان عند ولادته لا يحمل معه أي موروث سلبي، بل يولد طاهر السريرة ويعيش حالة البراءة النقية، ولن يخرج منها إلا بعد تلوث تلك الحالة بالفعل الشرير وبالإمكان استرداد حالة البراءة الأولى بعد التكفير عن الذنب، والعزم على ارتكاب الخطايا[11].

والفلسفة العملية عند كانط، لا تستند إلى ما يوجد، بل تمامًا إلى ما يجب أن يكون، فالأخلاق النظرية لا تُستنتج البتة من المعطيات التاريخية أو الاجتماعية، ولئن كان "عصر ما بعد الواجب" يعرب عن الطفرات الطارئة في المجتمعات الحديثة، فإن الفلسفة العملية تبقى وصف ما ينبغي أن يحدث، والفكر الأخلاقي النظري المعاصر يمضي وراء إعادة غزو عقلي عملي من نمط طريف مرتبط باتفاق كلي عند (هابرماس، رولز) وبمسؤولية تامة، إن في ذلك محاولة إعادة تأسيس جذري وهو مقوم زماننا، والبحث عن أخلاق نظرية صالحة للإنسانية بأسرها، بما في ذلك النوع البشري القادم الموكول إلى حمايتنا، إنما ينير النظام الأخلاقي المعاصر، وهو كما نرى ليس بغريب عن المرجعيات الكانطية[12].
فعندما طرح كانط عقلًا عمليًا متضمنًا قاعدة التخلق، عقلًا مستقلًا استقلالًا صارمًا عن العقل النظري، وقد منح العقل الأول كل منزلته المتقدمة، فإنه حث على تساؤل أساسي يشكل الحداثة وما بعد الحداثة، إن العقل العملي المحض ينص على المبدأ القبلي للفاعلية الأخلاقية أو الأمر القطعي "أطع القانون الكلي" وإذ منح كانط العقل العملي نوعيته وجعله لا يتبع مبادئ ميتافيزيقية، فإنه فتح على نحو من الأنحاء حقل الأخلاق النظرية المعاصرة: العقل يقدم مقياسه الكامل في دائرة الأخلاق، ويرسم ما ينبغي فعله بصرف النظر عن كل ممارسة نظرية وكل معرفة ميتافيزيقية، وبهذه الفكرة عن العقل العملي يرتبط عدد جم من مذاهب الأخلاق النظرية المعاصرة مثل النظرية التواصلية عند هابرماس، فإن الصياغة الكلية الكانطية هي أفق التفكير المعاصر الذي يربط اللغة بالجماعة الكلية للاتصال وبما "يجب عليك" وبوجه عام يمثل كانط إحدى المرجعيات الكبرى للأخلاق النظرية في عصرنا[13].

وسنعرض للنظرية التواصلية عند هابرماس ومدى تأثره بكانط بل وتجاوز فلسفته.

وسنركز الحديث على الأخلاق التواصلية من حيث أنها تمثل فلسفة عقلانية، ومدى تجلي هذه الأخلاق في المجتمع المعاصر من خلال رؤية هابرماس لأخلاق المناقشة في العالم المعيش، والأخلاق النظرية تبحث في الأسس النظرية العقلية المتعلقة بأحكام القيم والأخلاق، والخير والشر سعيًا إلى أسس الإلزام، إنها فلسفة للأخلاق يدور اهتمامها الأساسي بتحليل الأوامر والأحكام الأخلاقية، كما يشير كانط إلى أن القانون الأخلاقي لا يأتي من سلطة خارجية، بل من الإنسان نفسه فهو مصدر القانون الأخلاقي[14]. ونجد أن هابرماس ليس فقط متأثرًا بالفلسفة الكانطية وفكرة الواجب والالزام، بل يتجاوزها من خلال نظريته التواصلية وأخلاق المناقشة والتي سنعرضها فيما يلي:

النظرية التواصلية: يقول هابرماس "لقد أصبح التواصل الصوت الوحيد القادر على توحيد عالم فقد كل مرجعياته التواصلية، ولنتواصل بالأدوات والتقنيات التي تضعف التواصل نفسه، هذا هو جب التناقض الذي وضعنا فيه، بحيث التجأت المجتمعات الحديثة إلى إعلاء القيمة المركزية للتواصل لمعالجة المشاكل لتي نتجت عن خياراتها الأساسية، وعقدت البشرية الأمل في عصر الاتصال، غير أننا في الوقت نفسه أصبحنا نعاني فيه من اللا تواصل: والمفارقة أن كثرة وسائل الاتصال ألغت التواصل وغيرت من سماته، حيث يعاني الانسان الحديث من الإحباط والعزلة وعدم تماسك النسيج الاجتماعي، ومن الاغتراب والقيم المعرضة للاندثار[15].

فالاتصال في الواقع كلمة حديثة تحتل منزلة كبرى في التفكير المعاصر، فهي تدل على ذاك التبادل بالإشارات أو بالرسائل الذي يجري بين شخص وشخص، أو بين جماعة وجماعة، ولكن أليس التفكير هو بالأساس اتصالًا؟ أليس النظر عقليا هو الرجوع إلى مبدأ الاتصال واللغة؟ ففي مبدأ الاتصال في اللغة والتفاهم المشترك ستجد الأخلاق النظرية المعاصرة، أخلاق هابرماس أرض تلك الأخلاق ما دام الاتصال حريص على أن يعمل عبر التبادل وغياب العنف، ولذا فإن القضية الأولى التي ينبغي أن توجه الأخلاق النظرية هي العقلانية الاتصالية الهادفة إلى تفاهم الفاعلين، هنا يسفر العقل العملي على أنه يرتبط ارتباطا وثيقا بتحليل اللغة تحليلا فلسفيا يرتبط بالبحث المثالي، ولن يكون النهوض ببحث أخلاقي ارتدادا نحو جلاء مضمون الوجدان بل اتخاذ العلامات اللسانية أساس العمل، يتضح إذن أن العقلانية الاتصالية إنما تُفهم تبع ما أطلق عليه هابرماس أسم "المنعطف اللساني"[16].

يحاول أن يؤكد هابرماس على أن الوصول للانتشار الحضاري والثقافي في الممارسات الحياتية ومعالجة هذا الانفصال بين مجالات الحضارة وبين الحياة اليومية لن يأتي إلا بالعقلانية التواصلية، ويحاول أن يؤكد أيضا على أن أي فرد لديه القدرة على النقاش بطريقة كلية ومباشرة، وهذا النقاش يتبع معايير أخلاقية معينة يضعها ويؤسسها الوعي الأخلاقي أو بالأحرى الأخلاق النظرية، ومع هذا كله فهو لا يفرغ النظرية الأخلاقية الحديثة من محتواها والذي يظهر في النقاش بين الأفراد من أجل الوصول إلى صيغة أخلاقية كلية وشمولية[17].

يؤكد هابرماس على أن اللغة تحيل إلى الاتفاق والقبول والتواصل، فالحوار هو أساس اتفاق الفاعلية وهو الذي يحدد نظرية الأخلاق النظرية، وعلى هذا سيؤلف تحليل أفعال الكلام والتواصل المنتظم، وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار العقلانية والبرهانية الفاعلة في الممارسة اللغوية، ومن أجل فهم السُبل الاتصالية لابد أن يميز الباحثين بين نمطين من أنماط الفاعلية العقلية عند هابرماس هي:

1) الفاعلية الأداتية: وهي الفاعلية المتجهة شطر النجاح وهي تبحث عنها بوسائل تلائمها وتوائمها.
2) الفاعلية التواصلية: وهي التي تخضع للتفاهم المتبادل.

يركز الفاعلون في الحالة الأولى عنايتهم على نتائج عملهم، فإما أن يؤثروا في عالم الأشـــياء (فاعلية أداتية)، وإما أن يؤثروا في الآخرين محاولين الإمساك بممارسة السلطة على مناقشة الآخرين "فاعلية استراتيجية" وكلتا الفاعلتين تهدفان النجاح وهما يؤلفان شيء واحد[18].

يشير هابرماس إلى أهمية اللغة في الاتصال، كما تهدف الفاعلية التواصلية في حال نجاحها إلى ضمان اعتراف متبادل بين المتحدثين حول صحة ما يعربون عنه من صلاحية الادعاءات المتضمنة في أقوالهم وخصـوصًـا مدى حقيقتها ومطابقتها مع الواقع، والتأسيس لمبادئ الأخلاق يذهب إلى أبعد من ذلك، والذي يثبت بشكل متبادل بالافتراضات الأولية للخطاب البرهاني كشكل استنباطي للتواصل في العالم المعيش، هذه هي النتيجة التي يستنتجها هابرماس بالرغم من أنه لا ينتمي إلى الأخلاقية المعيشة، إذما إلى المبادئ الأخلاقية بالمعنى الكانطي، يعني بالمعنى الكانطي لتحول أخلاقية المناقشـــة، وهي التحقيق الفردي للحياة السليمة في الظروف الحصرية للأخلاق[19].

فالتواصل كما يرى "جان كازنوف" هو جعل الشيء مشتركًا، أي الانتقال من حالة فردية إلى حالة جماعية أو اجتماعية عبر الفعل، والذي يتضمن من بين ما يتضمن الإخبار والابلاغ والتخاطب، كما يقوم بنقل الرسائل والرموز المحملة بالدلالات والمملوءة بالإيحاءات، ثم إن التواصل بما هو نشاط تبادلي فإنه يتم بصور شتى كالأصوات، الإشارات، الصور، لكن التواصل اللغوي يبقى أرقى أنواع التواصل، من هنا نصل إلى بعث إتيقا معينة للتواصل، وبمقدار ما هو أداة للتفاهم والتحاور، قد يكون أداة للصراع والخصام، ومجتمعات اليوم تقدم لنا أمثلة حية على ذلك[20]. وننتقل هنا إلى إتيقا المناقشة.

إتيقا المناقشة: إن مفهوم الاتيقا بما هو بحث في التأصيل الفلسفي، واستكشاف لعلوم الإنسان المتعلقة بالقيم السلوكية مفهوم قديم يمتد جذوره إلى أفلاطون وأرسطو، كانط، نيتشه، ولكن الذي تغير هو طبيعة المقاربة المعاصـرة لهذه المسـألة جراء التراكمات المعرفية والتعقيدات البنيوية التي عرفتها المجتمعات المعاصـرة التي ترفض كل إتيقا باسم الاتيقا ذاتها، لذا تبدو أنها هي الجهد النظري المبذول لبلورة المبادئ التي تنظم علاقاتنا مع الآخرين، في الوقت الي تحتفظ فيه الأخلاق بمهمتها التاريخية وهي وضع المبادئ موضع التطبيق والممارسة[21]. أما العلاقة الجدلية القائمة بين مفهوم إتيقا المناقشة ومفهوم التواصل الذي يعد هو أيضًا من أهم المفاهيم المفتاحية لفهم المجتمع المعاصر، كما أشار كان يان باطوكا إلى أن الإنسـان كائن إتيقي، فالناس ليسـوا هم من يبتدع الإتيقا بل إن الإتيقا هي التي تحدد كينونة الإنسان وبخاصة تلك المتعلقة بحقائقه الوجودية الأبدية كالموت والعدم، فإن هابرماس يعتقد بأن الإنسان كائن إتيقي تواصلي انطلاقا من أن التواصل بمختلف تجلياته هو رمز دال من رموز المرحلة المعاصرة، كما أن رموز مفهوم التواصل يلامس حقولًا معرفية متعددة كالسوسيولوجيا، الأنثروبولوجيا، السيمائيات، التداولية، الألسنية، النظرية النقدية ومبحثها الهام إتيقا المناقشة، والواضح أن الخيط السحري الرابط بين كل هذه الحقول هو اللغة[22]. إن محور إتيقا المناقشـة هو الأفعال التواصـلية التي تكون فيها مستويات الفعل بالنسبة إلى الفاعلين المشاركين في العملية التواصلية غير متعلقة بالبحث عن الوسائل التي تمكن من التأثير في الغير، بل القصـدية فيها متجهة للبحث عن كيفية التوصـل إلى تفاهم وتوافق متبادل دونما إكراه، ولا تفاهم إلا بإدراك الوسـيط وهو اللغة من أجل فهم العلاقات التواصـلية، كما أن الإجماع العقلاني لا يتحقق إلا بتحاجج وتناظر موصل لفعل تواصلي كامل وقوي، وتفاهم عملي واقعي بين أفراد الجماعة التواصلية بخصوص قضايا معينة، ويشكل هذا أحد تجليات الفعل الكلامي، وقد كانت إتيقا المناقشة سؤالًا نقديًا في الأخلاق لا في بعده الذاتي المعياري والميتافيزيقي، بل في بعده التواصلي الذي يبحث في المناهج الإجرائية التي تمكن الذوات المتفاعلة فيما بينها من التواصل عبر صياغة معايير

أخلاقية من أجل التفاهم، وليس فقط في تأسيس مجتمع يستوعب التعدد، بل في مجتمع إجماعي، وتكفل هذه المعايير الأخلاقية توليد توازن دولي يدعم تحقيق مصالح المجتمعات وتنميتها[23].

التمييز بين العقل النظري والعملي: فقد احتفظ هابرماس بالتمييز بين العقل النظري والعقل العملي فأصبح من الضروري البحث عن جديد في حدود التصور الكانطي للأخلاق، وفي العلاقات الممكنة بين المعرفة والفعل وبين مفهومي الحق والواجب وبين فكرتي الاقتناع الذاتي والمسؤولية الاجتماعية والإنسانية، ويحاول هابرماس صياغة مفهوم جديد يتجاوز الأخلاق الكانطية، وهي ما تعرف بالأخلاق التواصلية عنده ووسيلتها هي اللغة[24].

وعندما حاول هابرماس تشكيل المبدأ الأخلاقي أو الأخلاق التواصلية أكد على أن الأخلاق الكانطية لا تستطيع أن تضع الجدل الأخلاقي في نطاق المسؤولية طالما أنه يعرف المبادئ الأخلاقية بمصطلحات نمطية أو إجرائية، فالأخلاق التواصلية عند هابرماس تعتبر أن كل مجال له قدرته على التبرير والتفسير داخل حدود مجاله الخاص، دون أن تسمح له بادعاء التعميم انطلاقًا من المقدمات والنتائج والأحكام التي تنتجها ممارسته المعرفية على موضوعاته الخاصة، ويدعي هابرماس هنا أن نظرية التداول يمكن أن تقدم عناصر هذه الوجهة من النظر باعتبار أنها تكون نوعًا من التواصل يمكن أن يحدث داخلها الاعتراف المؤسس على ادعاءات الصدق والقادرة على البرهنة على مواقفها داخل سياق تواصلي محدد[25]. كما انتقد هابرماس الاتجاهات اللامعرفية التي تربط الأخلاق بالأحاسيس والقرارت الذاتية وهو في هذا النقد قريب من كانط كما انتقد الاتجاهات الريبية التي اختزلت الأخلاق في القيم النسبية المرتبطة بجماعة معينة، مقابل هذه الاتجاهات ظل هابرماس وفيًا في نظريته للاتجاه المعرفي وهذا ما نلمسه في تمييزه لثنائية العقل النظري والعملي، فالمعايير الأخلاقية عنده ليست مرتبطة بالأحاسيس والقرارات الشخصية بل هي مؤسسة على إمكانية تبريرها تبريرا عقلانيا اعتمادا على العملية الحجاجية وصحة المعايير الأخلاقية[26].

تاريخية الأخلاق التواصلية: نستطيع أن نقول مع هابرماس أن مبدأ أخلاقيات المناقشة لا يمكن أن يكون ساري المفعول إلا بالعمل على ربطه بالموافقات المحلية لعالم معيش، وهذا من خلال تأكيد هابرماس على أن تكوين وجهة النظر الأخلاقية تسير يدًا بيد بموجب تمييز من خلال مناخ عملي، هذا المناخ العملي هو أخلاقيات العالم المعيش، فهذه الأخلاقيات كما أكد هابرماس هي نتيجة تاريخية فهي تنشأ في مجتمع محدد والذي يمتلك ملامح إيجابية، أي أنه يؤكد على أن أخلاقيات هذا العالم تحاول أن تكون سارية من خلال الاتصال بين الأفراد، فإن التاريخ يلعب دور كبير في توجيه مسار المناقشات العملية، لأن أشكال التطبيق يمكن أن تزيف المعايير كما يمكن أن تحترم عناصرها، ومن هنا ضرورة تأسيس أخلاقيات تواصلية تضبط تداخلات الناس وتنظم أساليب تبادلهم، وهي أخلاقيات تجد في العقل مرتكزها ومرجعها[27].

حاول هابرماس تأسيس أخلاق تعتمد على العقل، وتعتمد على نظرية المناقشة على اعتبار أن كل شيء خاضع للنقد والتداول والمراجعة والتقويم، ولا شيء يُعفى من التساؤل والمناقشة لدرجة تصبح فيها المناقشة سلطة اجتماعية وعقلية وأخلاقية تعاند السلطات التي تستعمل أدوات ووساطات أخرى غير العقل، واهتمام هابرماس بنظرية المناقشة في سياق أخلاق تواصلية وانشغاله الدائم بمسألة المجال العمومي، يظهران أيضا الحس السياسي الكبير الذي يُحرك هذا الفيلسوف الألماني[28].

وتحدد أخلاقيات النقاش بكونها أخلاق المسؤولية التي في نظر هابرماس تكون بديلًا للأخلاقيات التقليدية، فإذا كان الفعل الكلامي التواصلي يحقق التواصل والتفاهم، فإن أخلاق المسؤولية تفتح أفق

المشـاركة للجميع ليتحمل مسـؤوليته التاريخية في تجاوز مشـكلات الانسـان المعاصـر، تبدو أخلاقيات التواصـل الهبرماسـي مكتملة الأركان في مقاربة أزمة التداولية الكانطية وأزمة الوضـعية المنطقية، لكن التحليل العميق لها قد يجدها تصورًا مثاليًا لمجتمع يسود فيه اللغة والاتصالية ويستبعد النقص المعتبر في أي عملية لإنتاج المعنى في التاريخ، كما يدفع التمايز الواقعي والمثالي في عملية التواصـل، وهذا مدخل لنقد أخلاقيات التواصل[29].

ماهية الخطاب الأخلاقي: لمفهوم الخطاب الأخلاقي لهابرماس العديد من السمات المميزة:

1) الخطاب الأخلاقي "غائي" من منطلق أنه معني باختيار الغايات والتقييم العقلاني للأهداف (التبرير والتطبيق)، وبينما يتناول الخطاب البراجماتي الغايات التي ينشـدها المرء كما هي، ويدرس الوسيلة المثلى لتحقيقها، يقوم الخطاب الأخلاقي بتقييم هذه الغايات
2) يُقيم الخطاب الأخلاقي الغايات عن طريق تقدير "ما يناسـبني" أو "ما يناسـبنا" وهذه منافع خاصـة لا عامة، (الخُلقية، في المقابل تتناول مسألتي الصـواب والخطأ اللتين بقدر نفعهما أو ضـــررهما، من المفترض أن تكونا نافعتين أو مُضـــرتين عامة، ما دام أنهما تؤثران في الجميع بالطريقة نفسها[30]. إن فكرة الخير التي يزرعها الخطاب الأخلاقي في المعادلة ترتبط بكل من تاريخ الحياة الفردية للشـــخص والحياة الجمعية للمجتمع، ويطلق هابرماس على الخطابات المتعلقة بحياة الفرد (أخلاقية- وجودية)، وتلك المرتبطة بالحياة الجمعية (أخلاقية- سياسية)
3) يُبرز الخطاب الأخلاقي القيم المرتبطة بتاريخ حياة الفرد، وبالتقليد أو الجماعة الثقافية التي ينتمي إليها هذا الفرد، كما أن القيم تسـاعد على تشـكيل احتياجاتنا ورغباتنا واهتماماتنا التي بحسب هابرماس، لا تقدم في شكلها الكامل بفعل إرثنا البيولوجي أو الاجتماعي، لكنها دومًا تظل بحاجة إلى التأويل، ولأن القيم مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بنسـيج مجتمع بعينه، فإن كل فرد خلال اندماجه اجتماعيًا في مؤسسات وأنشطة ذلك المجتمع سيستوعب قيمه الأساسية، والقيم ليست بمعزل عنا شأنها شأن الحقائق الطبيعية المستقلة في وجودها[31].
4) إن فهم هابرماس لمفهومي الخير والقيمة يســتند إلى ســمة منطقية للخطاب الأخلاقي، إن النصـــائح والأحكام وترتيبات الأفضـــليات التي تنشـــأ في سـياقها الخطابات الأخلاقية تتمتع بصـــحة نسـبية أو شـــرطية وحسـب. (وفي المقابل، فإن المعايير التي تنشـــأ في سـياقاتها الخطابات الأخلاقية الناجحة صـــحيحة عامة وبلا قيد أو شـــرط، وبينما يُقصـــد من المعيار الأخلاقي الصـحيح أن يصـمد عبر التقاليد الثقافية المختلفة، فإن القيم لا تصـمد إلا في سـياق تقليد بعينه أو جماعة ثقافية بذاتها
5) يُعني الخطاب الأخلاقي بفهم الفرد أو الجماعة لذاتها، وسواء كانت المسائل الأخلاقية تخص الفرد أو الجماعة، فهي تعتبر مســـائل تأويلية بصـــفة عامة، إذ تهدف إلى إيضـــاح الذات واستكشافها وتشكيلها وتشكيلها[32].

يظهر لنا من خلال ذلك مدى اهتمام هابرماس بالخطاب الأخلاقي وكيف يشـــكل دورًا مهمًا في فكره.

من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل:

لعل التعريف الذي أعطاه كانط للفلســـفة بمعناها الكوني، أي علم العلاقات بين كل المعارف والغايات الجوهرية للعقل البشـري، يكشـف عن أبعاد أهمية السـؤال النقدي الأخلاقي، كونه مندرجا في

منزع نقدي من جهة أولى، للتجريبية التي جعلت من التجربة الحسية المصدر الأساسي للمعرفة والقيم ولم تعط قيمة للذات العارفة، ومن جهة أخرى للعقلانية الدوغمائية التي اعتبرت أن مصدر المعرفة اليقينية هو العقل لا التجربة الحسية[33].

يتحدد سؤال النقد الأخلاقي عند هابرماس في خروجه من فلسفة الوعي، التي تهتم بالفعل الغائي إلى العناية بقضايا الفعل التواصلي بين الذوات، فعمل على تأسيس نظرية الفعل التواصلي من أجل الانتقال من عقل متمركز على الذات، إلى عقل تواصلي يسهل عملية تجاوز فلسفة الذات التي لها صلة بالعقلانية الأداتية، إلى قيام مجتمع على مفهوم جديد للعقلانية التواصلية، والواضح أنه يريد تجاوز الفلسفة الكانطية ونقدها للعقل، الذي يراه قد أخذ شكل تحديد ذاتي بشكل صارم[34].

كما حاول تطبيق نظريته التواصلية ليس فقط في الجانب الأخلاقي ولكن في التأسيس لنظام سياسي قائم على المشاركة والنشاط التواصلي. إن التغيير في العمل في الأنظمة الاجتماعية الفردية وكذلك التفاعل بين المجتمعات المختلفة في العالم يسلط الضوء على المهم غير المكتملة التي تنتظرنا فيما يتعلق بالوعي الأخلاقي والعمل التواصلي "بسبب العولمة" حيث أن القضايا الأخلاقية الناجمة عن التنوع الثقافي، والتي كانت تنشأ بشكل رئيسي بين المجتمعات تظهر الآن بشكل متزايد داخلها، فإن طبيعة التفاعل بين الثقافات المختلفة ذات المعايير الأخلاقية المتباينة على نطاق واسع والقيم الأخلاقية المتغيرة بشكل كبير[35]. والقضية ذات الصلة هنا هي الأزمة غير المسبوقة للمؤسسات التي تميز الأنظمة الاجتماعية الفردية للتعامل مع ديناميات التغيير المعاصرة في الذات والمجتمع والثقافة، ويرى العديد من النقاد أن معضلاتنا المعاصرة هي أيضًا مؤسساتية على حد كبير، بقدر ما تنبع من عدم أهمية المؤسسات القائمة وعدم توافر مؤسسات جديدة لتوجيه حياتنا الخاصة والمجال العام، هذه المعضلات المؤسسية هي في المقام الأول "معضلات أخلاقية" والتي تدعو إلى لغة أخلاقية جديدة للتفكير في مؤسساتنا لأنها تعاني الآن من مشاكل غير مسبوقة، على سبيل المثال، بالتأمل في المجتمع الأمريكي المعاصر يرى روبرت بيلا وزملاؤه أنه في مواجهة تحدي الحاضر ومع الاضطرابات التي شهدها التحول ما بعد الصناعي، هناك حاجة مُلحة للتفكير في الديمقراطية كمسعى أخلاقي مستمر، وليس مجرد عملية سياسية[36]. وها نلمح ارتباط الأخلاق بالسياسة وضرورة إرساء أسس أخلاقية للمؤسسات في الممارسة المعاصرة. ونجد أن عمل يورغن هابرماس، هو مساهمة كبيرة في كل من فكرة الأخلاق ما بعد التقليدية والخطاب المعاصر للتحول الأخلاقي للمؤسسات، يعكس عمل هابرماس التدي المتمثل في النظرية والممارسة، يعد وعيه الأخلاقي وعمله التواصلي مساهمة مهمة في فكرة الأخلاق ما بعد التقليدية، وهو أيضًا ناقد منهجي يسعى إلى التحول للحياة المؤسسية في ظل الرأسمالية المتأخرة، وهو يرى أن مهمة تحرير الإنسان اليوم تتطلب مقاربة أخلاقية إلى جانب الأساليب المألوفة للعمل السياسي[37]. ويظهر ذلك في محاولة تطبيق هذه المقاربة فيما يعرف بالديمقراطية التشاركية أو التداولية.

الديمقراطية التداولية: ينتقل هابرماس من أثر النظرية التواصلية على الأخلاق إلى أثرها على السياسة أيضا متمثلة في الديمقراطية. فيرى هابرماس أن الديمقراطية تجد شرطها النهائي في منطق النشاط التواصلي الذي تعمل التداوليات الكلية على إعادة بنائه، ومن وجهة نظره التداوليات فإن تطور التمثلات والمعايير وأشكال المشروعية تخضع لمنطق له استقلاله الذاتي، ولكنه تابع في نفس الوقت لمسألة الحقيقة أو بالأحرى للفكرة التي نكونها عما هو حقيقي وصالح ودقيق، وذلك أن هذا الاستقلال الذاتي هو الذي يوفر شروط إمكان الديمقراطية، إن نظرية العقلنة التي تحكم النشاط التواصلي وتؤسس لمعايير الأخلاق التواصلية داخل المجال العمومي الحديث، تؤكد على أنه يتعين على كل مشارك في

التواصـــل أن يتوجه مع الآخر، ولذلك يؤكد هابرماس على أن الديمقراطية لا تزال مشـــروعا مثله مثل الحداثة بأنه مشروع لم يكتمل بعد[38].

تعد نظرية أخلاقيات التواصـل إحدى أبرز نظريات التواصـل المعاصـرة إن لم تكن أقواها في بلورة مشروع نظام سياسي ديمقراطي يقوم على إدارة الجميع دون تفريط بحق الفرد فيه، وللخروج من الأزمة السياسية الحادة في الديمقراطية التمثيلية التي تبقى مع ذلك ديمقراطية نخبوية، نعتقد أن التصور الديمقراطي التواصـــلي المقترح من طرف هابرماس في كتابه القانون والديمقراطية بين الوقائع والمعايير، يؤكد من ناحية على المؤسـساتية في دولة القانون وإجراءات التداول اللغوي التي تلزم تقديم الحجة لتبرير شرعية القرارات من ناحية أخرى، أضف إلى أن هذا التصور التفاعلي الجديد يتمركز فيه التواصـل- ما بين التواصـل والمشـاركة على حيازة تصـور عقلاني كوني للإرادة العامة كتعاقد أو عقد سابق عند كل من روسو أو هوبز أو لوك، لأن شروطه الإجرائية كمضامين وصلاحية الافتراضات داخله معروضـة على طاولة النقاش باسـتمرار، وقائمة على التداولية والتواصـل العقلاني والبرهنة على قضاياه المعيارية[39].

وترسي الديمقراطية التداولية حق المجتمع المدني بكافة مستوياته في تأسيس فضاء عام للتداول، يقدم فيه الأفراد وجهات نظرهم والحلول التي تمكنهم من التحرر من منطق الأنظمة التقنية والسـلعية من ناحية، بعد عجز الســـاســـة واغترابهم عن مواطنيهم، فالديمقراطية تتيح للأفراد حق إحكام تدخلهم في محيطهم وإسماع صوتهم، وتوسيع مجال الحرية والمسؤولية والمحاسبة، وإنها لن تستطيع ذلك إلا إذا اسـتضـافت في حيز التطبيق مثل الاسـتقلالية والمسـاواة اللتين تعرفانها لذا لابد من أن يحدد أعضـاء الجماعة السياسية قواعد وجودهم الجماعي بالمشاركة في سيرورة منصفة لاتخاذ قرار يمكن أن يكون شرعيا، وفقط في هذه الحالة يكمن دور فلسفة التواصـل النقدي- بوصفها الاندماج بين التفكير الفلسفي وعلم الاجتماع[40].

ارتباط النظرية السياسية بالنظرية الأخلاقية: يرى هابرماس أن القيم الأخلاقية المشتركة هي ما يمسك عُري المجتمعات التقليدية، وتسمح المشاركة في الأنشطة الاجتماعية للناس باكتساب هويات ودوافع ملائمة للأدوار والواجبات التي تتطلبها مؤسسات المجتمع كي تعمل بسلاسة، كما أن المجتمعات الحديثة معقدة ومتمايزة ومتعددة الثقافات، فلا يوجد مركز وحيد يتحكم فيها، ولا يربط بينها تقليد مهيمن، أو رؤية عالمية، في المجتمعات الحديثة، تتشـــكل للناس هوية عامة ومجردة، وتســـمر هويتهم المجردة رغم التغيرات التي تطرأ على الجنسية والثقافة والعمل وما إلى ذلك[41].

وفي البرنامج الأصـــلي لأخلاقيات الخطاب، زعم هابرماس أنه تحت الظروف الحديثة يكون الخطاب الأخلاقي الآلية الأساسية للاندماج الاجتماعي، فالخطاب الأخلاقي مناسب للمجتمعات المتنوعة ثقافيًا، ما دام أنه يسمح للناس بتحديد قواعد تعايشهم بأنفسهم، وهذه القواعد عامة وشمولية إلى أقصى درجة ممكنة، كما أن النظرية الســـياســـية لهابرماس تُقر بأن الخطاب الأخلاقي وحده لا يكفي لتنظيم النزاعات، والفاظ على النظام الاجتماعي في المجتمعات المتباينة، وذلك لأن البشـــر فيهم "اعوجاج" بحســـب المجاز الذي ســـاقه كانط، وبناء عليه، يبدأ برنامج هابرماس للنظرية الديمقراطية التداولية بأن الأنظمة الحديثة لا تتشكل بالمعايير الأخلاقية فحسب، بل بالمؤسسات السياسية والقوانين أيضًا[42].

وفي هذا السياق، يُتمم بين "الحقائق والمعايير" أخلاقيات الخطاب، وفي الوقت نفسه يُعد امتدادًا واستكمالًا لبرنامج النظرية الاجتماعية، يجوز أن يقول المرء أن فلسفة هابرماس اتخذت منعطفًا سياسيًا، ولا عجب من ذلك ما دامت نظريته الاجتماعية والأخلاقية، بحســـب زعم كثير من نقاده، كانت في واقع

الأمر نظرية سياسية مُقنعة، وحتى لو صح ذلك، فهو لا يعني أن هابرماس يمكن أن يُسقط النظرية الأخلاقية لمصلحة نظريته السياسية، وذلك لأن السياسة والقانون من وجهة نظره، لا يتسنى لهما العمل في غير وجود الخُلقية؛ ومن ثم تعمد النظرية السياسية والقانونية على النظرية الأخلاقية[43].

وختاما، فإن التواصل والخطاب الأخلاقي عند هابرماس غدا الفاعلية الوحيدة التي في إمكانها إعادة ربط الصلة بين أطراف هذا العالم متقطع الأوصال، عالم فقد كل مرجعياته ونقاط ارتكازه، وانقطعت صلته الحميمية بالإنسان، وساد العنف والاستبداد، حتى صار هذا العنف موضوعا محوريا من مواضيع الفلسفة في المرحلة المعاصرة، والمفارقة الكبرى التي تؤثر سلبا في النظرية التواصلية، هي أن هذا التواصل الأصيل الذي نفتقده جميعا، وليس هابرماس وحده، يتم على مرأى ومسمع من الثورة الكبيرة التي يعرفها عالم الاتصال والاعلام بمعناه الإبلاغي، ثورة شملت كل مناحي الحياة، ووصلت إلى أبعد نطاق الأرض وأكثرها انعزالًا، وهنا يكمن التناقض بين تواصل إنساني مرغوب ولكنه مفقود[44].

أهم الانتقادات الموجهة للنظرية التواصلية: يتضمن المستوى الأول قائمة منها تتعلق بسؤال عما إذا كان بوسع مبادئ هذا العلم الإجرائية إيجاد تعليل مقبول لصلاحية المعايير المختلفة عبر نهج طريق البرهان، بحيث تفحص تلك الانتقادات صحة وحقيقة فاعلية أخلاقيات المناقشة بإخضاع قدرتها على التعليل للفحص، والمستوى الثاني موجه لمبدأ الكونية الذي تتبناه أخلاقيات التواصل، كشرط لابد أن تستوفيه المعايير والقوانين، وقد تم أيضًا في هذا المضمار إثارة العديد من الشكوك حول أخلاقيات النقاش بوصفها فلسفة للتواصل، عندما تم التركيز في البداية على الحالة المثالية للكلام، بوصفها إحدى الأسس التي اعتمدها هابرماس، بحيث اعتبرها خصوم المدرسة مثالًا عن سقوط المدرسة في المثالية، مؤكدين أن هذا الإطار النظري يتضمن شروطًا بعيدة كل البعد عن تلك القائمة في واقع التفاعل اللغوي بين الأفراد[45].

فهذه انتقادات موجهة لنظرية أخلاقيات التواصل تتهمها بالمثالية والصورية، وبالإضافة إلى هذا النقد، يُضاف نقد آخر على المستوى الابستمولوجي: إذا كانت الشروط المعيارية والإجرائية للمناقشة العقلانية تتأتى من فهم سابق ومحدد للأخلاق، ينبغي على أخلاقيات التواصل إقامة الدليل على صلاحيته في حد ذاته، أي لماذا اعتمدت فلسفة التواصل مبدأ الأخلاق دون غيره؟ والحقيقة أنها لا تجيب عن ذلك ما دامت تعتمد صلاحية المعايير اللغوية (الصدق- الحقيقة- الصلاحية) كأسس أخلاقية أساسية مسلم بها قبليًا[46]. مما يمكننا توجيه اللوم لها لتبنيها منطقًا دائريًا يكتفي بصك عريضة مبدئية

(نتبنى هذه الشروط اللغوية المعيارية والأخلاقية لأنها أخلاقية)، أي عندما نطالب روادها بتقديم الحجة على هذا الاختيار لا يجدون من مبرر لتبرير ذلك إلا باللجوء إلى الأخلاق ذاتها، ولأنها أيضًا تكتفي باعتماد تلك الافتراضات المعيارية- البرهنة العقلانية المشهود بصلاحيتها قبليًا، على الرغم من أن هذه الصلاحية الأخلاقية المطلقة تتطلب تبريرًا وتعليلًا[47]. هذه أهم الانتقادات التي تعرضت لها النظرية التواصلية، ولكن لا يمكن اغفال ما حققته من تأثير في الفلسفة المعاصرة وكيف حاولت الخروج من هيمنة الآلة واستخدام العقل على أنه مجرد أداة إلى إحداث حالة من التواصل بين الأفراد، والتأسيس لأخلاقيات ذلك الاتصال. كما سنعرض لأهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

أهم نتائج الدراسة:

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي:

- محاولة هابرماس تأسيس أخلاق واقعية وعملية قائمة على المناقشة والحوار بين الأفراد.
- من أهم الدوافع التي جعلته يؤسس لهذه النظرية التواصلية، عندما تم توظيف العقل كأداة لخدمة الإنتاج الصناعي في المجتمعات الصناعية والإنتاجية في عصر الحداثة، وترتب على ذلك ظهور العقل الأداتي، وانفصال الانسان واغترابه عن مجتمعه وسيادة الرأسمالية.
- دلل هابرماس على أهمية اللغة بما أنها أداة للتفاهم والحوار، وأعاد لها مكانتها ودورها، فمن خلالها يتم الانتقال من الحالة فردية إلى الحالة الاجتماعية عبر الفعل.

فهو يرى أن وسائل التقنية الحديثة، هي من أسباب اضعاف التواصل وأسباب اغتراب الانسان عن المجتمع.

عندما حاول هابرماس تشكيل الأخلاق التواصلية أكد على أن الأخلاق الكانطية لا تستطيع أن تضع الجدل الأخلاقي في نطاق المسؤولية طالما أنه يعرف المبادئ الأخلاقية بمصطلحات نمطية أو إجرائية، فقد كانت هذه النظرية بمثابة نقد وتطوير لفلسفة كانط الأخلاقية.

أسس هابرماس لنظرية التواصل، ليس فقط لتحقيق الاتصال بين الفرد وغيره، ولكن أيضًا لتأسيس نظام ديمقراطي تداولي، يقوم على إدارة ومشاركة الجميع في الحياة السياسية.

تكمن أهمية هذه النظرية أيضًا في التأسيس لحياة إنسانية اجتماعية، وتحقق الحرية والمساواة للفرد في مجتمعه، فهذه النظرية أساسها العقل وليس الدين، فهي نظرية تحاول حل الإشكالية بين الأديان وغيرها وبين من ينكرون وجود الاله، ونلحظ ذلك بالرجوع إلى ديانة هابرماس فهو مُلحد، لا يعتنق ديانة معينة ولا يؤمن بوجود إله.

الهوامش والمراجع :

[1] يورغن هابرماس: فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر (1929-....)، ولد في دوسلدورف بألمانيا، يعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية، وله أكثر من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة والسياسة وعلم الاجتماع وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي، وهو ملحد لا يؤمن بالأديان السماوية ولا بوجود الاله، وهو ما نحى به نحو تأسيس نظرية التواصل التي لا تحل إشكالية اختلاف الأديان والثقافات، نظرية كلية شمولية.

[2] إيمانويل كانط: فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر (1724-1804)، عاش حياته كلها في مدينة كونيغسبرغ في مملكة بروسيا، وكان من أهم الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة، من أهم فلاسفة الأخلاق، ومن أهم أعماله: (نقد العقل الخالص) (تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق) (نقد العقل العملي) (نقد ملكة الحكم).

[3] موسى (محمد يوسف): مباحث في فلسفة الأخلاق، مؤسسة هنداوي للطبع والنشر، المملكة المتحدة،2018، ص (96-97).

[4] المرجع السابق، ص (97).

[5] إبراهيم (زكريا): المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، القاهرة، 1969، ص(163).

[6] المرجع السابق، ص(164).

[7] إبراهيم (زكريا): مبادئ الفلسفة والأخلاق، مطبعة وزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1963، ص (137).

[8] المرجع السابق، ص (138).

[9] خليفة (فريال حسن): الدين والسلام عند كانط، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة،2001، ص (63-64).

[10] كانط (إيمانويل): نقد العقل العملي، ترجمة: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008. ص (81).

[11] الحيدري (إحسان): العلاقة الجدلية بين الدين والأخلاق في فلسفة كانط النقدية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد،2018 .ص (22).

[12] روس (جاكلين): الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة وتقديم عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2001، ص (135).

[13] المرجع السابق، ص (23).
[14] أبو النور (أبو النورحمدي): الأخلاق والتواصل عند يورجين هابرماس، التنوير للطباعة والنشر، بيروت،2012، ص (238-241).
[15] المرجع السابق، ص (246).
[16] المرجع السابق، ص (243).
[17] المرجع السابق، ص (246-248).
[18] المرجع السابق، ص (251-252).
[19] المرجع السابق، ص(255-256).
[20] هابرماس (يورغن): إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، ترجمة عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ص (8-9).
[21] المصدر السابق، ص (7).
[22] المصدر السابق، ص (7-8).
[23] العضراوي (عبدالرحمن): النقد الأخلاقي التواصلي والتعارفي في عصر ما بعد الأخلاق، مركز نهوض للدراسات والبحوث، 2023، ص (18-19).
[24] أبو النور (أبو النورحمدي): الأخلاق والتواصل عند يورجين هابرماس، مرجع سابق، ص (257).
[25] المرجع السابق، ص (258-261).

[26] كريد (عبير): أخلاق المناقشة عند هابرماس، رسالة ماجستير في العلوم الاجتماعية، جامعة بسكرة، 2021، ص (44).
[27] أبو النور (أبو النورحمدي): الأخلاق والتواصل عند يورجين هابرماس، مرجع سابق، ص (266).
[28] المرجع السابق، ص (278-279).
[29] العضراوي (عبدالرحمن): النقد الأخلاقي التواصلي والتعارفي في عصر ما بعد الأخلاق، مرجع سابق، ص (19).
[30] فينليسون (جيمس جوردن): يورجن هابرماس "مقدمة قصيرة جدا" ترجمة أحمد محمد الروبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2015، ص (102).
[31] المرجع السابق، ص (102- 103).
[32] المرجع نفسه، ص (103- 104).
[33] العضراوي (عبدالرحمن): النقد الأخلاقي التواصلي والتعارفي في عصر ما بعد الأخلاق، مرجع سابق، ص (5).
[34] المرجع السابق، ص (15).
[35] (Kumar Giri) Ananta: Moral Consciousness and Communicative action: From discourse ethics to spiritual transformation, Madras Institute of Development Studies, 1995, P.1.
[36] Ibid, P.(1-2).
[37] Ibid, P.2.
[38] أبو النور (أبو النورحمدي): أخلاق التواصل عند يورجين هابرماس، مرجع سابق، ص (279).
[39] المرجع السابق، ص (280-282).
[40] المرجع السابق، ص (283).
[41] فينليسون (جيمس جوردن): يورجن هابرماس "مقدمة قصيرة جدا، مرجع سابق. ص(115).
[42] المرجع السابق، ص (115-116).
[43] المرجع نفسه، ص (116).
[44] فيري (جان جاك): فلسفة التواصل، ترجمة عمر مهيبل، منشورات الاختلاف. المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006، ص (19).
[45] أبو النور (أبو النورحمدي): الأخلاق والتواصل عند يورجين هابرماس، مرجع سابق، ص (270).
[46] المرجع السابق، ص (272).
[47] المرجع السابق، نفس الصفحة.